مجلة تراثية فصلية محكمة

١

# الأقواس

WWW.ATTAWEEL.COM

تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

المجلد الثامن عشر
العدد الاول
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

أسعد الدين محمد

# نظام البريد في الحضارة العربية دراسة

**د . حسين علي الدلاقوي**

كلية التربية / جامعة بغداد

البريد من مؤسسات الحضارة العربية الاسلامية ، وجانب مهم من جوانب النظام الاداري السائد في العالم الاسلامي ، شرقاً وغرباً . فكان شأنه شأن المؤسسات الأخرى تتقدم بتقدم الدولة وتطورها وازدهارها .

ولهذا فان نظاماً امبراطورياً لطرق البريد كان قد ربط المناطق المتباعدة بالعاصمة العربية ، أصبح من واجبه جمع أخبار هذه الولايات وتقديمها الى الخليفة[1] .

البريد باعتباره التراسل بين البشر قديم جداً . ويمكن القول إنه وجد منذ ان شعر الانسان بحاجة الى المخابرة ، ومن أقدم نماذجها مايعود الى زمن الأشوريين[2] ، ومن قبلهم البابليين والسومريين في عهد سلالة أور الثالثة . وجد البريد عند الصينيين ، ووجد في امبراطورية روما ، وظل قائماً بعد انقسامها الى دولتين ، فنجد عند بيزنطة بريداً رسمياً منظماً[3] . كما وجد عند العرب قبل الاسلام[4] .

ان حيوان البريد في تلك الأثناء يكون عادة محلوف الذنب ليعرف به . فقد استخدم البيزنطيون البراذين التي يقول عنها ابن خرداذبه : « وبريد الروم براذين لطاف محلوفة الأذناب »[5] أما الصينيون والعرب قبل الاسلام ، والمسلمون من بعد ذلك فاستخدموا البغال محلوفة الأذناب[6] . وكذا استخدم المسلمون البغال والخيول والجمال في البر ، واستخدموا السفن البريدية كما استخدموا الحمام الهوادي لنفس الغرض[7] .

اهتم الكتاب العرب في مؤلفاتهم بالبريد . ففي مؤلف لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ( ت ٣٥٨ / ٩٥٠ ) عنوانه صناعة الكتاب ، معلومات عن تنظيم البريد ، ومايجب ان يتعلمه كتاب هذا الديوان .

وفي مؤلفات الجغرافيين العرب خلال القرنين : التاسع والعاشر توجد معلومات حول طرق البريد ، والمنازل ، والنفقات التي تصرف على ادارتها . راجع في هذا الصدد الى :

Sprenger, Die Post und Reiserouten des Orients, Leipzig, 1864.

ونجد عن البريد ذكراً مفصلاً بعض التفصيل في كتاب الخراج لقدامه ، الباب الحادي عشر من ص ٧٧ ـ ١٢٠ ( راجع الطبعة الحديثة في بغداد ، تحقيق الدكتور الزبيدي ) .

وفي كتاب ( مفاتيح العلوم ) للخوارزمي ( نشره فان فلوتن ص ٦٣ ) ، وطبعة مصر ، ٤ ، بعض المعلومات وشرح الاصطلاحات المستخدمة في هذا الديوان .

ومن المؤلفات المتأخرة كتاب عنى بالبريد بعنوان ( آثار الأول في ترتيب الدول ) للحسن بن عبدالله العباسي . ابتداء تأليفه ٧٠٨ هـ . ومن المؤلفين المهتمين بالبريد أيضاً القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ١٤ / ٩٣٦٦ .



WWW.ATTAWEEL.COM

ان كلمة (Veredus) في اللاتينية تعني حيوان البريد . اما البريد فقد تداول استعمالها منذ العصر الاسلامي الأول ، وشاع في العصور الاسلامية الأولى بعدة معاني : حيوان البريد أو ساعي البريد الخيال ، او بريد الدولة ، وأحياناً بمعنى منزل البريد والمسافة بين منزلي البريد[٨] . أما أصل الكلمة فقد دارت حولها آراء مختلفة[٩] .

قال الخليل انه مشتق من بَرَدت الحديد اذا ارسلت مايخرج منه ( القلقشندي ) ١٤ / ٣٦٦ . فقيل انه لفظة Pered لحدرت من الساميين ( العرب الجزريين ) بمعنى البغل[١٠] .

يقول بوزورب : ان الكلمة اللاتينية المتأخرة Veredus معناها خيل البريد ، والساعي Courier Seredarius .

كذلك قيل انها : يونانية أو مصرية قديمة أو آشورية فانها في الوقت نفسه ذات علاقة بلفظة PFerd الالمانية وبكلمة bardot التي تفيد معنى نوع من البغل[١١] .

جاء في القلقشندي : البريد لغة : المراد منه مسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلاً . . قدرها علماء المسالك أو الممالك بانه أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي ، وهو (٢٤) اصبعاً ، وكل اصبع ست شعيرات معترضات ظهر احداها لبطن الأخرى .

قال الجوهري : ويقال ايضاً على البريد المرتب ، ويطلق ايضاً على الرسول بريد[١٢] .

كانت الأبعاد في غربي الفرات تقاس بالأميال ، وفي شرقية بالفرسخ ، والفرسخ يعادل ثلاثة أميال . وعند كل ميل من المسافة تسند صخرة ، وهي طريقة كانت شائعة في العالم[١٣] ، بحيث أن استخدام الميل وجد في مناطق عديدة منها مالم تتعرض الى السيطرة الرومانية ـ كما في جنوب جزيرة العرب .

وفي طرق الدولة العربية كانت توجد لدى كل فرسخين محطات ( سكك ) لاستراحة ركاب البغال[١٤] .

يقول المقدسي : ان الميل ثلث الفرسخ ، وفي البريد خلاف بالبادية . والعراق اثنا عشر ميلاً . وبالشام وخراسان ستة[١٥] .



ويقول الخوارزمي : « كان يركب في كل سكة بغل ويُعد مابين السكتين فرسخان بالتقريب . وتتوقف البغال عند كل منزل بريد ( سكه ) والمسافة بين هذين البريدين تقريباً فرسخان[١٦] .

ذكر ابن خرداذبه ( توفى في حدود ٣٠٠ هـ ) : سكك البريد في المملكة تسع مائة وثلثون سكة . ونفقات الدواب واثمان ارزاق البنادرة والفرانقين لسنة مائة الف دينار وتسعة وخمسين الف ومائة دينار[١٧] .

راجع للتفصيل :

M.A. Sauvaire, Materiaux pour server a L'historie et de la Metrologie Musulmanes, J.A. Nov.

dec. 1886, 483 (apud: Koprulu, op. cit).

ذكر هيرودوت انه شاهد البريد في الشرق الأوسط . كذلك كان للرومان ـ كما أوردنا ـ بريد رسمي واسع ومنظم . وقد صرفوا جهوداً كبيرة في سبيل تنظيم الطرق ووسائل المواصلات فاعادوا بذلك أهمية كبيرة لهذا التنظيم الجديد Cursus Publicus بما في ذلك الاهتمام بالمنازل وحيوانات البريد ومايؤمن من راحته المسافرين من الوسائل . وكان المستفيد من كل ذلك الحاكم ورجال الحكم والأشخاص الذين حصلوا من الدولة اجازات خاصة في هذا الصدد . راجع حول هذه :

Paul Huvelin, Etude d'Histoire de Droit Commercial Romain, Paris, 1929, 42.

استمر تنظيم البريد (Veredus) Veradarii ( ساعي البريد ، البريدي ) في عهد روما الشرقية . وكان قائماً في عهد قسطنطين الكبير . وبعد ذلك ورد ذكره في قانون ثيودوسيوس وكانت له أحكام :

( Cod Theod., VIII, V, 51 )

كان البريد بالاضافة الى اعماله يؤدي حمل الاستخبارات الا ان هذه الأخيرة قد الغيت فترة من الزمان في عهد جستنيان ثم انبعثت ، لأن ظروفاً استجدت أدت الى إحيائها من جديد Boissonnade, راجع :

Le Travail dan L'Europe Chrestienne au Moyen — Age, Paris, 1921, p.66.

لم يعد البريد على الرغم من كل المحاولات كسابق عهده بسبب الأزمات المالية الخانقة التي كانت تعانيها للدولة . بيد أنه من المحقق أن هذا الجهاز كان موجوداً في مصر أثناء الادارة البيزنطية . راجع حول ذلك[18] :

G. Rouillard, L'Administration Civile de L'Egypte Byzantine, Paris, 1928, p.113.

يرى دهومبين وعدد غيره من الباحثين ان معاويه اقتبس نظام البريد من البيزنطيين . غير أن المنطق التاريخي يذكرنا بأن الحضارة العربية قبل الاسلام في بلاد اليمن وتدمر والغساسنة والمناذرة ازدهرت في بيئات حضرية . ففي هذه المناطق المدنية لابد من وجود نظام البريد الذي يفرض نفسه على كل المجتمعات . وقد أشار الاستاذ مارغوليوث في مقالة له نشرتها مجلة ( Islamic Culture ) ١٩٣٣ ، الى البريد العربي قبل الاسلام .

اهتمت الدولة الأموية اهتماماً كبيراً بنظام البريد ، وأراد معاويه ان تصل اليه الأخبار بسرعة ( أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل )[19] . ولذلك استخدم البريد في تأمين الامدادات السريعة من الجند الى مناطق القتال في الحالات الطارئة[20] .

يقول Guyard ان معاوية أول من أسس سرعة الاتصال بين المسلمين في مناطقهم المختلفة[21] .

وذكر ا. ف. حسيني : كان معاويه أول حاكم مسلم أنشأ نظاماً للبريد مخصصاً لاغراض الدولة ، ثم أبيح للرعية فيما بعد ان ينتفعوا به في نقل رسائلهم . وقسمت المسالك الرئيسة الى مراحل أو منازل ، لكل مرحلة أو منزلة خيل معده لحمل البريد واستخدمت الابل في بلاد العرب والشام ( ابن الاثير ٦ / ٤٩ ) وعرف هذا النظام بالبريد ( المسعودي ، ٤ / ٩٣ )[22] .

وفي عهد عبدالملك تحسن نظام البريد وتوسع من جراء الأوضاع الداخلية والحركات العسكرية . وأمر أن يحضر اليه البريد متى جاء من ليل أو نهار[23] . وقدم الى هذا النظام مساعدات قيمة[24] .

قدم البريد خدمة كبيرة للحجاج ابان ثورة ابن الاشعث فكان عبدالملك يبعث الى الحجاج الرجال بواسطة دواب البريد السريعة[25] .

عزز الحجاج هذا الجهاز بنظام سريع من المراسلات من المنارات والمناظر بين واسط والثغور النائية فتدل اشارتها الضوئية في الليل والدخان المنبعث عنها في النهار على الوضع في الاقاليم المتاخمة للاعداء وحاجاتها الى المدد[26] . وكانت كتب الحجاج ترد على محمد بن القاسم الثقفي ويرد عليه الثاني ويستطلع رأي الحجاج فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام[27] .

وفي أيام الطوارئ كانت عربات البريد تستخدم في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة . وفي عهد يوسف بن عمر والي العراق بلغت تكاليف البريد في هذه الولاية وحدها أربعة ملايين درهم في السنة[28] .

وفي عهد عمر بن عبدالعزيز أصابت البريد تغييرات جديدة فكتب عمر الى سليمان بن أبي السَّرىٰ ان اعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليله وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فاقروه يومين وليتين ، فان كان منقطعاً به فقدوه بما يصل به الى بلده[29] .

وكذا قام عمر بن عبدالعزيز بتقوية البريد عندما شاهد القلاقل في خراسان . فاقام المنازل على الطرق الرئيسة وقد صرفت في هذا الشأن مبالغ كبيرة تقدر بأربعة ملايين درهم .

ومن الطريف ان نذكر ان عمر بن عبدالعزيز كان يرفق بالحيوان وقد نهى ان يجعل البريد في طرف السوط حديدة ينخس بها الدابه ، ونهى عن اللجم الثقال[30] .

وفي وثيقة ـ الحقناها بهذه المقالة ـ تعود الى ٩٩ هـ ـ ١٠٠ هـ كشفت عنها التنقيبات الأثرية التي جرت قرب سمرقند ، ان نظام البريد لم يكن قاصراً على خراسان انما كان موجوداً في ماوراء النهر اي اتضح وجوده في سمرقند وورد في الوثيقة اسم سليمان بن أبي السريّ الذي عهد اليه عمر الثاني هذه المهمة في الوثيقة[31] .

ويبدو ان نظام البريد كان قائماً في الأندلس كما كان عند الأمويين في الشرق ومن بعدهم العباسيين . ويبدو من الوثائق التاريخية انه كان على رأس هذا الجهاز في أواسط القرن

الثالث موظف يعرف بصاحب البريد[٣٢] . ومن المحتمل وجود النظام قبل هذا التاريخ[٣٣] .

اما في العصر العباسي فكان الاهتمام بهذا الجهاز كبيراً جداً بحيث يذكر عن أبي جعفر المنصور قوله المشهور : « أركان الملك الأربعة : القاضي ، صاحب الشرطة ، وصاحب الخراج والرابع صاحب البريد »[٣٤] .

وكان المنصور يختار للبريد من أصلح العمال ديانة وأكملهم أمانة وأظهرهم صيانة لأنه عين الوزير ، صادقاً ثقة[٣٥] .

كما استخدم المنصور نفسه ولاة البريد عيوناً على الولاة والقضاة وأصحاب الشرطة وغيرهم من عمال الدولة فكان البريد والحالة هذه دعامة مهمة من دعائم الأمن في البلاد[٣٦] .

انتظم البريد في عهد هارون الرشيد أكثر من ذي قبل ويدل على ذلك تخصيص (٨) ملايين درهم من خزانة الدولة لهذا الغرض[٣٧] .

أما طبيعة العمل في جهاز البريد أيام العباسيين ، فكان بين الدواوين التي تشكل الادارة المركزية في بغداد ادارة مختصة بنقل الأخبار بين الولايات والمركز وبالاطلاع على الموظفين الكبار ومتابعة مايجري في الولايات . هذه الادارة هي مايسمى بالبريد وعلى رأسه ( صاحب البريد ) فكان صاحب البريد يتلقى تقارير من الولايات ويقوم بتلخيصها وايداعها في أرشيف الديوان المركزي[٣٨] .

يقول قدامه انه يعمل جوامع لكتب أصحاب البريد ويكون اليه النظر في أمر جملة الخرائط والموقعين والسكك ، كذلك يدفع رواتبهم ويتولى تعيين عمال البريد في سائر الأمصار[٣٩] .

ومن أعماله أيضاً انه يراقب طرق البريد[٤٠] ، ونقل الضرائب الى الخزينة المركزية . وبجانب اشرافه على ادارات البريد فانه يتولى استحداث منازل جديدة وتوفير الخيول والبغال والجمال والاستفادة من السفن في مواطن معينة ، وينظر في أمر أبراج الحمام ( الهوادى ) ( الزاجل ) وذلك لاستخدامها في ايصال الرسائل الصغيرة المستعملة أو تلقيها .

كذلك هو الآخر يتولى تنظيم أمر القصاد وهم الرجال الذين يحملون الرسائل السرية عند تعذر ايصالها بالبريد في حالة الخوف من العدو ، فيمشون ليلاً ويكمنون نهاراً[٤١] . ويعرفون بالسعاة ( القصاد ) ويعرفون في بعض مناطق الدولة باسم ( بيك ) أو ( فيج )[٤٢] .

ان تنظيم البريد بالاضافة الى انه يؤمن الاتصالات والمخابرات بين المركز والولايات فانه يتولى نقل الأشياء الحكومية ونقل الموظفين لالتحاقهم بوظائفهم بين الولايات . ومن بين كل هذه الاختصاصات كما أسلفنا هي اخبار المركز بأخبار الموظفين الكبار في الولايات من الولاة والقواد والقضاة وموظفي المالية وتتبع حركاتهم ونياتهم تجاه الحكم القائم آنذاك ومراقبتهم مراقبة دقيقة[٤٣] .

كذلك كان صاحب البريد يضطلع بمهام نظام الجاسوسية الشديد الدقة لذا يسمى رئيس البريد باسم صاحب البريد والأخبار[٤٤] . لذلك ينبغي ان يكون ثقة . وقد اسند هذا المنصب أحياناً لبعض القضاة اعتماداً على أمانتهم[٤٥] . واحياناً كانت تأتي عليهم شكايات لتحيزهم أو سوء تصرفهم كما شكا منهم القاضي أبو يوسف ( ت ١٨٢ ) في كتابه الخراج[٤٦] . ويدعو الى تعيين أشخاص ثقات .

وجد التنظيم العباسي نفسه لدى السامانيين فيما وراء النهر وخراسان ، فكان مسؤول البريد يمارس وظيفة الاستخبارات .

أما في الدولة الغزنوية التي تأثرت بالنظم السامانية ، فان البريد كانت له أهمية كبيرة حيث يمارس صاحبه شؤون الجاسوسية والاستخبارات . وفي عهد محمود ومسعود الغزنويين كان بجانب كل والٍ شخص يتم تعيينه من قبل الادارة المركزية يقوم عادة بمراقبة ادارة الوالي ، ويسمى ( كتخدا ) معاون الوالي ، وعداه كان صاحب البريد أو ( نائب البريد ) عليه ان يخبر المركز بكل مايحصل في المنطقة من الأحداث الجسام وهو الآخر ينتخب من المعتمدين عليهم وقد كان يتوسل في ارسال تقاريره بوسائل عديدة منها يسلم البريد الى شخص متنكر واحياناً

يغطيه بالشمع ويدعه في داخل عصا والى غير ذلك من الوسائل السرية .

اما في العهد السلجوقي ، فان السلاجقة أخذوا بالنظام العباسي . غير ان الب ارسلان في عهده أمر بالغائه وبقي ملغياً مدة من الزمان ثم اعيد الى سابق شأنه ( البنداري ، نشره هوتسما ص ٦٧ ) وذلك ان الب ارسلان كان متعلقاً بالتقاليد القبلية القديمة ويكره الجاسوسية كرهاً شديداً يؤيد ذلك وزيره نظام الملك حين يذكر انه لم يكن في زمانه ( صاحب خبر ) . ولكن على الرغم من كل ذلك كان نظام الملك يؤمن بأهمية البريد كتنظيم اداري أساسي ، ويعتقد ان من المهم انتخاب صاحبه من الأشخاص المتدينين ومن المستقيمين ( سياست نامه ، نشره الخلخالي ١٣١٠ ، الفصل العاشر ، ص ٥٠ ومابعده ) .

لذلك لم يلبث نظام البريد ان عاد كما كان قائماً في العصور العباسية السالفة : فرتبت المنازل في الأطراف وعلى الطرق السالكة وتم تعيين موظفين يأتون بالأخبار . وكان للسلاجقة في عهد ملكشاه ووزيره نظام الملك جواسيس يعملون لمصالح الدولة .

كان الخليفة المستنجد العباسي يكره الجاسوسية بينما عمل الناصر لدين الله على تقويتها وتقوية نظام البريد .

وفي عهد الزنكيين الذين دخلوا في صراع مع الصليبيين انتظم النقل والبريد . فانشأ نور الدين زنكي خانات على الطرق الرئيسة وابراجاً على الحدود للحراسة واستحدث بريد الحمام الزاجل[٦٢] .

كان البريد في العصر العباسي ، بالاضافة الى الطرق البرية ، يسير بالسفن عند السواحل أو في الأنهر . فكان في نهري النيل ودجله سفن بريدية سريعة جداً ، وكان بوسع المسافرين أيضاً الركوب في هذه السفن .

يقول الحسن بن عبدالله العباسي . في كتابه ( آثار الأول في ترتيب الدول ) ـ ابتداء تأليفه سنة ٧٠٨ هـ : « يتولى صاحب البريد باتخاذ المراقب والمشارف والاعلام عليها النيران بالليل ، والدخان في النهار . والطلائع بتحفظها وتقرير الاشارة بينهم بها هذا كله من وظائف صاحب البريد »[٦٣] .

وكان البرق يتم عن طريق اشارات ضوئية في القسم الغربي من الدولة[٦٤] . يقول العباسي : « يجب ان يكون صاحب الخبر له توصل وتلطف وحذر من المكائد ، والمستحب أن يكون بين البريد الملك وبين البريد صاحب الخبر ترجمة لايطلع عليها غيره ـ أي يجب أن يكون هناك شفره[٦٥] .

وبهذه الوسائل كان نقل الخبر من سبته الى الاسكندرية يستغرق ليلة واحدة[٦٦] . كما ان الخبر من طرابلس الغرب الى المدينة ينقل خلال ثلاث أو أربع ساعات[٦٧] .

ومن الطريف ان نرجع مرة أخرى الى استخدام الحمام في شؤون البريد . فقد استخدم لهذا الغرض في جميع مناطق الدولة العباسية . يقول مسكويه : ففي كل ساعة أحياناً تأتي الحمام من مختلف اسماء البلاد عائدة الى بيوتها »[٦٨] .

وقد استفاد السامانيون من الحمام لنقل الرسائل[٦٩] ، وأحياناً كان التجار يملكون حماماً للبريد خاصة بهم .

والحمام الرسائلي ويعبر عنه بـ ( الهَدْى ) اعتنى به خلفاء بني العباس كالمهدي والناصر . كما اعتنى به نور الدين زنكي الشهيد ـ كما أسلفنا ـ وحافظ عليه الفاطميون . صنف فيه محي الدين بن عبدالظاهر كتاباً سماه ( تمائم الحمائم ) . يقول القلقشندي : وقد سبقه الى التصنيف في ذلك أبو الحسن بن مُلاعب الفوارس البغدادي ، فصنّف فيه كتاباً للناصر لدين الله الخليفة العباسي ببغداد ، أما مسافات طيرانه فان الطائر الذي بيع بألف دينار طار من القسطنطينية الى البصرة وارسل من مصر الى البصرة بحضرة قاضي مصر[٧٠] . وفي عام ٣١٣ هـ / ٩٢٧ م ارسل ابن مقله ( الوزير فيما بعد ) خلال حرب القرامطه ( ٥٠ ) حمامة بريد الى الأنبار . وكانت له استخبارات يرسلها الى بغداد بانتظام ( ابن الأثير ٣/١٥٣ ) وفي نفس السنة أسس الوزير البريد ضد القرامطة في عقرقوف مع ١٠٠ شخص و ١٠٠ حمامة . وطلب بريداً كل ساعة ( مسكويه ٥/٢٩٨ ) .

وكانت الرسائل تصل من الموصل والرقة في هذا الوقت الى بغداد وواسط والبصرة والكوفة بواسطة الحمام خلال (٢٤)

ساعة . يقول الثعالبي في ثمار القلوب :

« هذية الحمام : يضرب بها المثل . والحمام الهدى معروف بأرض الشام والعراق يشرى بالأثمان الغالية ويرسل من الغايات [ مدى الشيء وآخر الأبعاد ] البعيدة يكتب الأخبار ويؤديها ويعود باجوبة عنها . قال الجاحظ لولا الحمام الهدى التي تجعل برداً لما جاز ان يعلم اهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ماكان بالبصرة . وحدث بالكوفة في يوم واحد حتى ان الحادثة لتكون بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة عشية ذلك اليوم . وهذا مشهور ومتعارف »[٥١] .

كانت الرزم البريدية ترتب على أشكال اسطوانية وتختم بالشمع وترزم . ان شمع العسل المستخدم في أسيانيا لختم الرسائل يقابل ذلك في الشرق نوع من الشمع الأحمر المماثل لما يستخدم حالياً في صناعة الأختام ، كان يستورد عن طريق سيراف فقد كانت الدولة تشتري منه في عهد المأمون حوالي (١٢٠) كيلو سنوياً[٥٢] .

وكان للتجار في هذا العصر ولعدد من الأشخاص اختام خاصة بهم ، منها محفورة عل النحاس أو الفضة أو الذهب أو على العقيق وغيره .

وكان لكل حكومة اسلامية شفرة خاصة تجرى بواسطتها المخابرات السرية ولايعلم مغاليقها ومفاتيحها الا رجال الدول المختصون[٥٣] .

## وثيقة بريدية

من التنقيبات الأثرية المهمة في آسيا الوسطى ماكان في عام ١٩٣٣ عند خرائب موغ ـ قلعة ، الواقعة عل مسافة ١٢٠ كم شرقي سمرقند .

درسها أساتذة مختصون ونشرت الأكاديمية السوفياتية عام ١٩٣٤ نتائج هذه الدراسة .

من ضمن هذه الوثائق مايتعلق ( بديواستيج ) اللي يسمى نفسه في الوثائق الصغدية بـ ( ملك الصغد وسيد سمرقند ) . كان اسم ديواستيج يرد في المصادر الكلاسيكية على عدة اوجه ، وبفضل هذه الوثائق أمكن ضبط الاسم وتشكيله .

ويهمنا هنا الوثيقة العربية التي عثر عليها أحد الرعاة قبل حفريات ( موغ ـ قلعة ) بمدة قصيره واتضح فيما بعد ان هذه ايضاً من وثائق حصن ديواستيج في ( موغ ـ قلعة ) . وفيما يلي نص الوثيقة العربية ، نعرضها من غير تحقيق اذ يهمنا منها الآن وجود نظام البريد في آسيا الوسطى .

ولأجل التوسع في هذه الوثيقة والوثائق الصغدية الأخرى نحيذ مراجعة رسالة كرانشوفسكي المشهورة ، ومقالة :

W.Z. Henning, A Sogdian God, BSOAS, 242 — 254.

والمجلة الصغدية Sogdiyskig Sbornik

مع المراجعة الى المصادر العربية الأساسية عن هذه الفترة .

الوثيقة العربية :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم .
٢ ـ للأمير الجراح بن عبدالله من مولاه ديوا .
٣ ـ سق السلام عليك أيها الأمير .
٤ ـ ورحمة الله فاني أحمد اليك .
٥ ـ الله الذي لا اله الا هو .
٦ ـ أما بعد [ . . ] أصلح الله الأمير وأمتع .
٧ ـ به فان [ . . . ] .
٨ ـ للأمير حاجتي وحاجة ابن طرخون وابن الا .
٩ ـ مير امتع الله به ذكر ابن طرخون بخير .
١٠ ـ فان را الأمير من الراي ان يكتب .
١١ ـ الى سليمان بن ابي السرى فبعث بها الى الأمير .
١٢ ـ فليفعل أو يأمرني الأمير بدابة من دواب .
١٣ ـ البريد فابعث عليها غلامي بات بها .
١٤ ـ الأمير فان الله جعل قدم الأمير لاهل .
١٥ ـ المط [ . . . ] غياث ورحمه .
١٦ ـ اسل الله لـ [ . . . ] والسلام عليك ايها الأمير ورحمة الله[٥٤] .

١ ـ Guilford A. Dudly, A History of Eastern Civilization. New York, p.236.

٢ ـ Ismet kayacoglu, Islam Kurumlar. Tarihi. Istanbul, s.64 — 67.

نشرت مجلة ( آفاق عربية ) البغدادية ، ١٩٨٣ مقالاً قيماً عن البريد بعنوان : البريد في العالم القديم ، بقلم الدكتور كامل مصطفى الشيبي ، فنذكر القارىء الكريم بأهميتها .

٣ ـ Kayacoglu, op. cit.

٤ ـ Islamic Culture, 1933.

٥ ـ ابن خرداذبه ( ت في حدود ٣٠٠ هـ ) ، المسالك والممالك ، ص ١١٢ .

٦ ـ Islamic Culture, 1933.

٧ ـ A. Mezaheri, Orta Cagda Musulmanlarin yeseyleler. trc. Dr. Behriye Ucok, Istanbul.

قسم البريد .

وأحياناً يرد تعبير الجمال ، وهو الجمل السريع الذي يحمل البريد ، ويقصد به الساعي المسرع ، تأريخ البيهقي ، ص ٨٠ .

٨ ـ في تعليقاته على الطبعة الحديثة Koprulu, ١٩٧٧ من كتاب تاريخ ( الحضارة الاسلامية ) لبارتولد ص ٩٢١ ـ ٩٣٩ .

٩ ـ مادة ( البريد ) في دائرة المعارف الاسلامية ، راجع :

P. Hugounet, Le Post des Califes ... Paris, 1884.

Nikita Elpesseef, L'Orient Musulman au Moyen Age 622 — 1260 Paris, 1977.

أشار اليها البروفسور Koprulu ، نفس المصدر .

١٠ ـ من ترجمة فخر الدين Stanislas Guyard طباطبائي ، الحاشية ، ص ٢٠ .

١١ ـ حول رأي بوزورث

C.F. Bosworth, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol XII, Part I, 1969.

وحول الآراء الأخرى

Kayacoglu, op. cit., Guyard, Ibid

١٢ ـ القلقشندي ، نفس الصفحة .

١٣ ـ Mezaheri, Ibid.

١٤ ـ مقالة مارغوليوث في IslamicCulture

وفصل البريد في كتاب Mezaheri

١٥ ـ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ٦٥ ـ ٦٦ .

١٦ ـ الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤٢ .

١٧ ـ ابن خرداذبه ، ص ١٥٣ .

توجد مصطلحات خاصة بالبريد الرسمي منها :

الفراتق : حامل الخرائط .

الموقع : الذي يوقع على الاسكدار اذا مر به بوقت وروده وصدوره .

السكه : الموضع الذي يسكنه الفيوج المرتبون من رباط أو قبة أو بيت أو نحو ذلك .

الاسكدار : هو مُدرج يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة والنافذة وأسامي أربابها كذلك انه مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المقفلة للختم . الخوارزمي ، مفاتيح ، ص ٤٢ ـ ٥٠ .

وفي ص ٧٩٩ من تاريخ البيهقي ترجمة بحس الحشاب وزميله : انه ساعي البريد الذي يغير دابته كل منزل والذي يتمنطق بحزام حتى لايتعب .

والاسكدار : هو Scroll يسجل فيه عناوين وتواقيع الوثائق المرسلة للختم ، هذا في ص ١٦٤ وفي نفس المقالة لبوزورث ص ١٤٢ الاسكدار حيث يسجل فيه أرقام الأكياس المرسلة والرسائل الواردة والصادرة واسماء مرسليها والعناوين وأربابها . وليس من الضروري ان يكون الاسكدار مدرجاً كما يقول الخوارزمي ، وفي العصور الاسلامية المتأخرة أصبح الاسكدار كيس الارسالية حيث توضع الرسائل ( خريطة ) .

يرى مينورسكي ان الكلمة من أصل يوناني . راجع ص ١٤٣ من مقالة C.F.Bosworth حول تعابير الخوارزمي في مفاتيح العلوم ( بالانكليزية ) .

Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. XII, Part I. January 1969.

كذلك راجع حول البريد والاسكدار والمعنا ، ص ٣٥٩ من كتاب تركستان ( الترجمة العربية ) لبارتولد حيث يرد تفصيل البريد عند المغول ، ص ٦٥٦ .

الفيج :

وهو خادم الديوان الذي يدفع الكتب ويجيء بها . والجمع فيوج . والفيج الذي يحمل الكتب من بلد الى بلد .

أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغدادي مؤدب المهتدي بالله ، كتاب الكتاب ، ص ١٣٧ راجع :

Bull. Etud. Orien. 1952 — 4.

١٨ ـ مأخوذة مقتبس من البروفسور Koprulu نفس الفصل . ويفضل الرجوع ايضاً الى : رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، ص ٩٤ .

١٩ ـ القلقشندي ، نفس المجلد ، ١٤ / ص ٣٦٨ .

٢٠ ـ د . خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي .

٢١ ـ Guyard, Ibid.

٢٢ ـ حسين ، الادارة العسكرية ، ترجمة ابراهيم العدوي ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

٢٣ ـ القلقشندي ، ١٤ / ٣٦٩ .
٢٤ ـ العمد ، الحجاج ، ص ٣٨٥ .
٢٥ ـ خالد الجنابي ، المصدر نفسه .
٢٦ ـ العمد ، الكتاب نفسه ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .
٢٧ ـ البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢ / ٥٣٥ .
٢٨ ـ حسيني ، ١٧٠ ـ ١٧١ .
٢٩ ـ الطبري ، ٢/١٣٦٤ أخبار عام ١٠١ هـ .
٣٠ ـ أبو يوسف ، الخراج ، القاهرة ١٣٤٦ المطبعة السلفية ص ٢٢١ .
٣١ ـ الطبري ٢/١٣٦٤ ومجلة (Belleten) ٧ ، ١٩٤٣ ص ٦١٥ ـ ٦١٩ .
٣٢ ـ G. Levi Provencal, L'Espagne Musulmane au Xeme siecle, Paris, 1932, p.55.

من البروفسور Koprulu .
٣٣ ـ Koprulu ، الفصل نفسه في الكتاب نفسه قسم التعليقات .
٣٤ ـ الفخري ، الآداب السلطانية ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
٣٥ ـ ابن خرداذبه ، ١٨٤ ـ ١٨٥ .
٣٦ ـ محمد الشريف الرحولي ، نظام الشرطة في الاسلام الى أواخر القرن الرابع الهجري . الدار العربية للكتاب ، ص ١٤١ .
٣٧ ـ Koprulu, op. cit.

٣٨ ـ حسيني ، ص ٣٠١ .
٣٩ ـ قدامة ، الخراج ، ص ٧٧ .
٤٠ ـ مقالة خدابخش في Islamic Culture سنة ١٩٢٨ ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ( بالانكليزية ) .
٤١ ـ منير العجلاني ، عبقرية الاسلام في أصول الحكم . دمشق ، ص ٢٩٩ .
٤٢ ـ ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ E. Merdi, Kerman Selcuklular. Prof. Koprulu
٤٣ ـ الفصل نفسه
٤٤ ـ حسيني ، ن . ص .

ومن الجدير بالذكر ان كتاب رسائل البلغاء / القسم الأول من منشورات المقتبس . القاهرة (١٩٠٨) يضم وثيقة مفصلة حول الاستخبارات الاسلامية . راجع ص ٧٧ ـ ٧٨ . وحول الموضوع نفسه من المفيد مراجعة كتاب :
علي بن أبي بكر الهروي ٦١١ هـ / ١٢١٥ م .
كتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية .
Bull. Etud. Orien. XVII
رقم ١٧ ، سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ .
٤٥ ـ السمعاني ، الانساب ٥/١٤ .
٤٦ ـ ابو يوسف ، الخراج ، القاهرة ١٣٤٦ المطبعة السلفية ، ص ٢٢٢ .
٤٧ ـ الفصل نفسه Koprulu
٤٨ ـ الحسن بن عبدالله العباسي ( ابتداء تأليفه ٧٠٨ هـ ) ، آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ٦٦ ـ ٨٤ .
٤٩ ـ وهو يشير الى المراكشي . ترجمة Mazaheri, Fagnan ، ص ٢٩٩ .
٥٠ ـ العباسي ، ص ٨٩ ـ ٩٠ .
٥١ ـ أبو المحاسن ، النجوم ، ١/١٧٤ .
٥٢ ـ الفصل نفسه Mazaheri
٥٣ ـ مسكويه ، تجارب الأمم ، ٥/٢٩٨ .
٥٤ ـ السمرقندي ، جهار مقاله ، ص ٥٦ .
٥٥ ـ القلقشندي ، ١٤ / ٣٨٩ ـ ٣٩١ .
٥٦ ـ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٣٧٠ .
٥٧ ـ ابن خلدون ١ / ٣٢١ ، ٥٧ والفصل نفسه Mazaheri .
٥٨ ـ الفصل نفسه Mazaheri

وفيه الاشارة الى البيهقي ، ١٩٤٦ ، ص ٦٤١ ـ ٦٤٧ .
٥٩ ـ نقلنا الوثيقة وجميع المعلومات التي أوردناها حولها من مقالة البروفسور Aman المنشورة في مجلة Belleten .
7, no.27. 1943.
٦٠ ـ صورة ( حجر المساقة ) ـ من مجلة معهد الدراسات الشرقية باستانبول العدد (٣) .

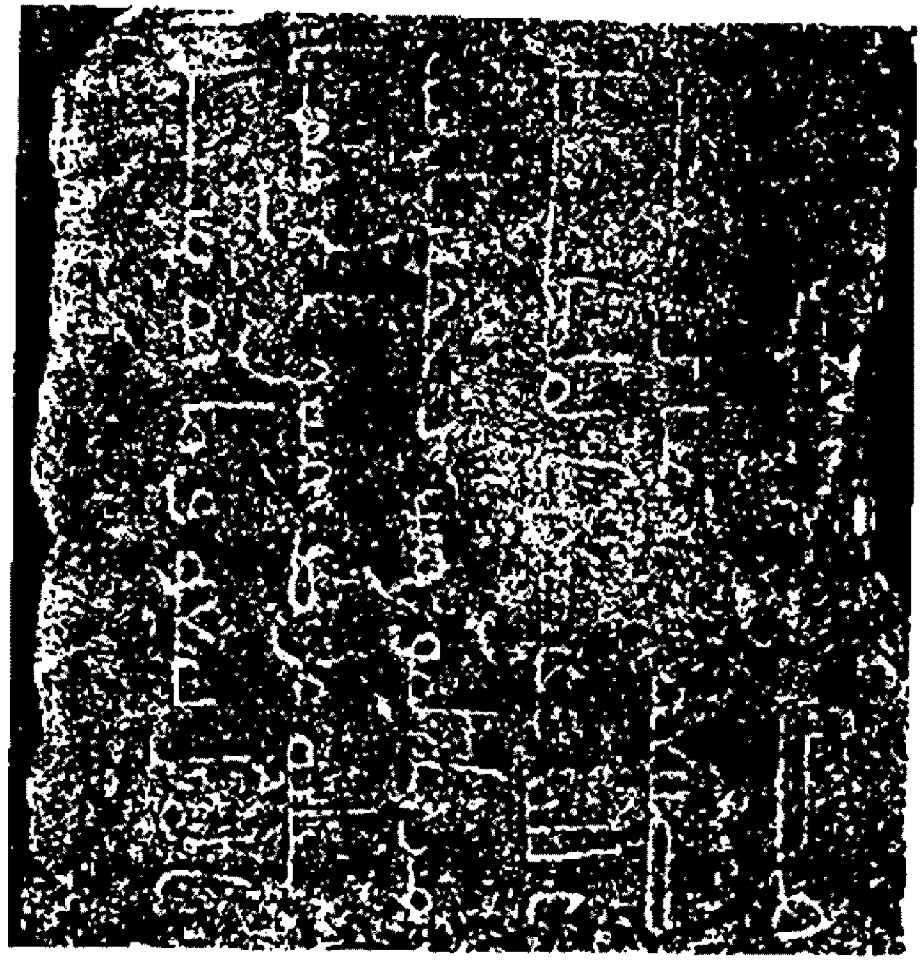

حجر للساة من القرن الثامن عليها كتابة كوفية البقية مباسبة أسفل من الأسفل منصوبة على الطريق بين دمشق والقدس عثر عليها المستشرق الفلسطيني علم ١٨٨٤ وهي الآن في متحف الآثار الإسلامية رقم (٢٥١١) نقلاً من مجلة معهد الدراسات الشرقية - إستانبول ، (العدد ٣).



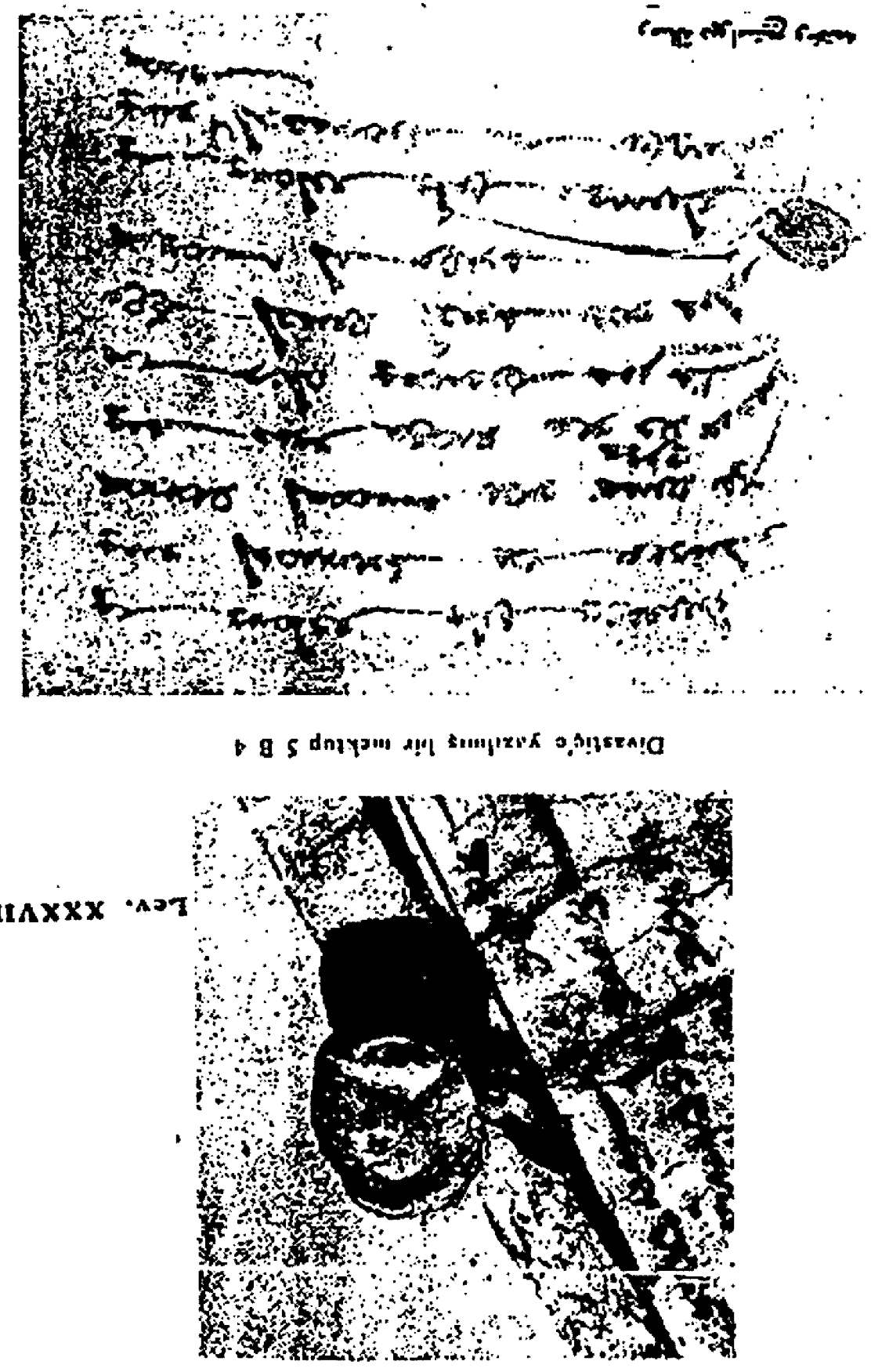

Lev. XXXVII

Divasting yazılmış bir mektup 5 B 4